قراءة في مخطوط: "الإعانة ببعض مسايل الحضانة"

READING IN THE MANUSCRIPT OF "ASSISTANCE WITH SOME GUARDIANSHIP ISSUES"

الدكتورة: حياة كاتب Dr. Hayet KATEB

جامعة محمد بوضياف – المسيلة Univ. Med BOUDYEF , M'SILA

salhayet6@yahoo.fr

Received*:** استلم: ***Accepted: قُبل للنشر:

ملخص:

مما لا شك فيه أن التراث الجزائري المخطوط كبير و شاسع أسهم فيه علماء الجزائر عبر مراحل التاريخ في كل المجالات و العلوم كالطب و الرياضيات و الفلك والعلوم اللغوية وكذا العلوم الشرعية كالفقه و أصوله و التصوف وغيرها، فكان لهذه المخطوطات إثراء واضح و جلي في الحضارة العربية الإسلامية و في مكتبات وطننا الواسع و حتى في مكتبات المغرب و المشرق العربيين.

ونحاول في هذه الدراسة إبراز التراث الفقهي الجزائري المخطوط ومدى إسهام أعلام الجزائر فيه من خلال مؤلف قيم في بابه "الإعانة ببعض مسائل الحضانة" لأحمد بن محمد ساسي التميمي البوني (المتوفى 1139هـ)، حيث عالج فيه مسألة فقهية عرضت عليه حول حضانة الجدة،ذاكرا فيه نص السؤال ثم الإجابة عنه مع مناقشة آراء العلماء في المسألة.

الكلمات المفتاحية: الحضارة الإسلامية؛ المخطوطات؛ الفقه؛ حضانة الجدة،؛ أعلام الجزائر؛ البوني.

Abstract:

There is no doubt that the Algerian manuscript heritage is large and vast, in which the Algerian scholars contributed through the stages of history in all fields and sciences such as medicine, mathematics, astronomy, linguistic sciences, as well as the Islamic sciences such as jurisprudence and its basis, mysticism ect.., These manuscripts have a clear and visible enrichment in the Arab-Islamic civilization and in Algerian, Arab Maghreb and Orient libraries.

In this study, we attempt to highlight the Algerian jurisprudence manuscript and the Algerian scholars contribution through an important manuscript "assistance with some guardianship issues" by Ahmed bin Mohammed Sassi Al-Tamimi Al-Boni (deceased 1139 AH) Where he addressed a jurisprudence issue offered to him about grandmother guardianship, saying the question text then answering it with a discussion of the scholars views about the issue.

Keywords: *Islamic civilization; Manuscripts; Jurisprudence; Grandmother guardianship; Algerian scholars; Al-Boni.*

المقدمة:

يعتبر التراث الجزائري المخطوط جزء لا يتجزأ من تراث الحضارة العربية الإسلامية الذي أسهم فيه علماء الجزائر إسهاما واضحا عبر مراحل التاريخ في كل المجالات و العلوم، فكان لهذه المخطوطات إثراء جلي في مكتبات الوطن الواسع و حتى في مكتبات المغرب و المشرق العربيين.

والباحث في هذا المجال يلاحظ مدى كثرة هاته المخطوطات و تواجدها في رفوف المكتبات في جميع أنحاء دول العالم العربي الإسلامي وحتى في مكتبات الدول الغربية تحتاج إلى الاهتمام من طرف الباحثين و طلبة العلم وإخراجها إلى النور بالدراسة و التحقيق.

ويعد كتاب "الإعانة ببعض مسائل الحضانة"من أهم ما ألف الإمام أحمد ساسي التميمي البوني رحمه الله في الفقه، حيث عالج فيه مسألة فقهية عرضت عليه حول حضانة الجدة،ذاكرا فيه نص السؤال ثم الإجابة عنه مع مناقشة آراء العلماء في المسألة.

ولقد انتهج رحمه الله في كتابه نهج من سبقوه في التأليف في فقه النوازل كما في "المعيار المعرب" للإمام أبو العباس أحمد الونشريسي (المتوفى 914هـ)، حيث أورد رحمه الله نص السؤال بعد افتتاحه بالحمد لله تعالى والصلاة و السلام على نبيه الكريم ثم أورد رأيه في المسألة بعد بيان آراء علماء المذهب و مناقشتها، بالإضافة إلى اعتماده رحمه الله أسلوب الفنقلة "فإن قلت ...قلت " وكذا أسلوب السجع كونه متضلعا في الشعر .

ولقد تناولت هذا البحث في مقدمة عبارة عن توطئة للبحث و أربعة مطالب، الأول تضمن حياة الإمام أحمد ساسي التميمي البوني رحمه الله وعلمه وأهم مؤلفاته،والثاني حول التعريف بكتاب "الإعانة ببعض مسائل الحضانة"، أما الثالث فاحتوى طريقة تأليفه للكتاب وذلك بإبراز منهجه المتبع، في حين المطلب الرابع شمل رأيه في مسألة الحضانة المعروضة عليه، بالإضافة إلى ملحق تضمن صورة عن المخطوط، وختمت هذا البحث بخاتمة اشتملت على أهم نتائج البحث.

المطلب الأول: حياته وعلمه[1]:

هو أحمد بن قاسم بن محمد ساسي التميمي البوني، من كبار فقهاء المالكية، عالم بالحديث و سائر العلوم الشرعية، ولد ببونة المعروفة "بعنابة" في شرقي الجزائر، رحل إلى المشرق فأخذ بمصر عن علمائها وأجازوه للإقراء بالأزهر منهم فقيه الجزائر أبو زكريا يحى بن محمد الشاوي المليانى، بعد عودته من الحج، ثم عاد إلى الجزائر وأخذ عنه جماعة من العلماء، نذكر منهم على سبيل المثال عبد القادر الراشدي القسنطيني[2].ترك رحمه الله مؤلفات كثيرة نذكر منها على سبيل المثال : "فتح الإغلاق على وجوه مسائل خليل بن إسحاق "، "فتح الباري في شرح غريب البخاري "، "الإعانة ببعض مسائل الحضانة "، إتحاف الأقران ببعض مسائل القرآن "، "التعريف بما للفقير من التآليف " عدد فيه أسماء مؤلفاته وهي نحو المائة كتاب [3] . ويمكن تصنيف هذه المؤلفات مابين المطبوع و المخطوط :

أولا:المؤلفات المطبوعة [4]:

-الدرة المصونة في علماء و صلحاء بونة، نشر الأستاذ ابن أبي شنب، في التقويم الجزائري لسنة 1331هـ /1913م.

-التعريف ببونة إفريقية، بلد سيدي أبي مروان الشريف (تقديم الأستاذ سعيد دحماني)، نشر المجلس الشعبي البلدي بعنابة، سنة 2001م.

---

(1) راجع: خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، (189/1)، محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط2، 1985م، (515/2)، محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، المطبعة السلفية ومكتبتها، 1349هـ،ص 329، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين، المكتبة التجارية، بيروت، ط1، 1981م،ص (33-34) .

(2) هوعبد القادر الراشدي القسنطيني، من كبار فقهاء المالكية، أصله من الرواشد من مداشر فرجيوة، تولى القضاء و الفتيا بقسنطينة، من مؤلفاته "كتاب في عائلات قسنطينة و قبائلها و عربها و بربرها "، "رسالة في تحريم الدخان "، توفي رحمه الله نحو عام 1112هـ . راجع : الزركلي،الأعلام، (164/4)،و الحفناوي، تعريف الخلف، (221/2)، و نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 94 .

(3) نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 24 .

(4)سعد بوفلاقة، أحمد البوني وكتابه "التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف "،انظر الموقع الالكتروني :
http://binbadis.net/archives/858

ثانيا:المؤلفات المخطوطة: [1]

-إتحاف الأقران ببعض مسائل القرآن.

-إتحاف الألبان بأدوية الأطباء.

-إتحاف النجباء بمواعظ الخطباء.

-إظهار القوة بإحكام الباب والكوة.

-الإعانة على بعض مسائل الحضانة.

-إعلام الأحبار بغرائب الأخبار.

-إعلام أرباب القريحة بالأدوية الصحيحة.

-إعلام القوم بفضائل الصوم.

-إلهام السعداء لما يبلغ لمراتب الشهداء.

-الإلهام والانتباه في رفع الإبْهام والاشتباه.

-أنس النفوس بفوائد القاموس.

-تحفة الأريب بأشرف غريب.

-الترياق الفاروق لقراء وظيفة الشيخ زروق.

-تعجيز التصدير وتصدير التعجيز.

-تلقيح الأفكار بتنقيح الأذكار.

-تليين القاسي من نظم الإمام الفاسي.

-تنوير قلوب أولي الصفا بذكر بعض شمائل الحبيب المصطفى.

-الثمار المهتصرة في مناقب العشرة.

-الجوهرة المضيَّة في نظم الرسالة القدسية.

-حث الوُرّاد على حب الأوراد (في ثمانية أجزاء).

---

(1) الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، (515/2).

-رفع العناء عن طالب الغناء.

-الظل الوريف في البحث عن العلم الشريف.

-الفتح المتوالي بنظم عقيدة الغزالي.

-لبّ اللباب في ذكر رب الأرباب.

-المنهج المبسوط في نظم عقيدة السيوط.

-نظم تراجم كتاب الشمائل للترمذي.

-نظم كتاب البخاري.

-الياقوتتان: الكبرى والصغرى في التوحيد، وغيرها كثير. وكانت وفاته رحمه الله ببونة عام 1139هـ.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب"الإعانة ببعض مسائل الحضانة"

يعد كتاب "الإعانة ببعض مسائل الحضانة"[1] من بين أهم ما ألف ساسي التميمي البوني رحمه الله في الفقه، حيث عالج فيه مسألة فقهية عرضت عليه حول حضانة الجدة،ذاكرا فيه نص السؤال ثم الإجابة عنه مع مناقشة آراء العلماء في المسألة، ولقد جاء في بداية الكتاب بعد البسملة و الصلاة و السلام على رسول الله ما يلي : « يقول الفقير إلى الله تعالى أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني التميمي وفقه الله تعالى وغفر له بمنه آمين...الباطن الدرر ومعانيه كالغرر... » [2] .

كما أنه سمى هذه الفتوى بـ "الإعانة ببعض مسائل الحضانة" وهذا ما يؤكده بنفسه في خاتمة الكتاب حيث يقول : « ....قال ذلك و كتبه عن عجل و شغل بال و ضيق وقت الفقير إلى الله تعالى أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني التميمي راجيا أن يكون من المتقين المحسنين وذلك في شهر رمضان عام ثلاثة عشر و مائة و ألف .....وقد ترجمت هذا الإفتاء المبارك بالإعانة ببعض مسائل الحضانة، جعله الله تعالى خالصا لوجهه مقربا لرضوانه بفضله و امتنانه و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين و الحمد لله رب العالمين » [3].

---

(1) مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة، تحت رقم 2160 .

(2) أحمد ساسي البوني، الإعانة ببعض مسائل الحضانة، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة، تحت رقم 2160، ص2.

(3)نفس المرجع السابق، ص 6 .

المطلب الثالث: منهجه في الكتاب

يمكن أن نجمل منهج البوني رحمه الله الذي اتبعه في كتابه في النقاط التالية :

أولا– أورد رحمه الله نص السؤال كاملا بعد افتتاحه بالحمد لله تعالى والصلاة و السلام على رسول الله صلى الله عليه و سلم، حيث يقول: «...وهذا نص السؤال، و ما اشتمل عليه من حسن المقال، الباطن كالدرر و معانيه كالغرر، الحمد لله بما أتانا رضي الله عنكم وجعل البركة فيكم و منكم، جوابكم عن مسألة بعد تأملكم القضية : وهي صبي مميز ألف أباه ألفة شديدة بحيث لا يقدر على مفارقته ساعة زمانية، من الليل و النهار و ماتت أمه و أرادت أم الأم أخذ الصبي بحكم الحضانة الواجبة لها شرعا فنفر الصبي منها و لم يرض بانضمامه إليها و متى احتالت عليه إلى أن يصير في حوزها يبكي في البكاء الشديد المفرط حتى يرحمه من حضره و يشفق من حاله ولا يكف عن البكاء و الأنين إلا بالذهاب إلى أبيه، فتخاصم الأب و الجدة بسبب ذلك بين يدي من ينتصب للعلم ببلدهم فأفتوا جلهم على إسقاط حضانة الجدة لما شاهدوه من أمر الصبي المذكور .....والرأي عندي أن ينزع الصبي من أبيه و يضم إلى جدته على أي حال كان ولعله بعد إقامته عندها يسلو عن أبيه و ينسى ألفته به شيئا بشيء إذ الجدة أحفظ له و أصون من أبيه بمقتضى تقديم الشرع لها.....و الحمد لله رب العالمين و أسرع لنا بالجواب و الله تعالى يلهمنا و إياكم محاسن الصواب و كمال المتاب و حسن المآب بيمنه و كرمه آمين . » [1]

ثانيا– ثم أورد رحمه الله رأيه في المسألة بقوله : «...ونص الجواب بتوفيق الكريم الوهاب بعد حمد الرب الرحيم و الصلاة و السلام على النبي الكريم و على آله و صحبه ذوي المجد العميم، حيث ثبت ما ألفيت في السؤال و واقد الواقع ذلك المنوال فليس للجدة المذكورة في حضانة ولد ابنتها مقال، بل هي منها ساقطة و إن كانت بذلك ساخطة وذلك لخوف الهلاك على الصبي المذكور ..... » [2].

ثالثا– اعتمد رحمه الله أسلوب الفنقلة "فإن قلت ...قلت " ومثال ذلك ما جاء في قوله : «....فإن قلت لما صوبتم المتن الأول و أخذتم بظاهر هذا، هل هو صوبا معا أو تركا معا ابتداء، قلت الاحتمالات العقلية لا تدخل العلوم

(1)أحمد ساسي البوني، الإعانة ببعض مسائل الحضانة، ص 3 .
(2)نفس المرجع السابق .

النقلية لأن فيها من أعظم زرية و بلية، ذلك الأول صوبه من الأشياخ من ذكرها و هذا لم يصوبه أحد في علمي..... » [1].

رابعا– يورد رحمه الله آراء العلماء في المسألة و يناقشها كما جاء في قوله: «.....وقال اللخمي أيضا إذا ألف الولد غير الأم وثقت نقلته، وقعت حضانتها انتهى، ويبقى عند من ألفه من أب و غيره فإذا كانت الأم بهذه المثابة فالجدة أحرى عند كل ذي إنصاف وإصابة..... » [2]، وقوله كذلك : «.....فإن قلت لعل كلام خليل السابق في الرضيع خاصة فلا يعم المميز الذي في السؤال، قلت : لو أراد الك لقال أو لا يقبل الرضيع كما لا يخفى على متأمل في المقال فلما قال الولد شمل الصغير إلى الاحتلام كما لا يغيب ذلك على ذوي الأحلام، وفي كتاب الإمام مالك للمدنيين ما يؤكد ما قلنا في هذا المقام ... » [3]

خامسا– اعتمد رحمه الله أسلوب السجع كما جاء في قوله: «...فإن قلت وأين القسوة في الجدة المذكورة المسقطة لحضانتها المسطورة،قلت هي مدركة لكل متأمل بالضرورة، فلو كانت على الولد ذات شفقة ولها ديانة لما أرادت انتزاعه من أبيه مع شدة بكائه إن ذهب إليها وعويله حتى يرحمه لذلك كل ذي ديانة وصيانة .... » [4]

سادسا– كان رحمه الله يستدل بالحديث الشريف في إبداء رأيه مثلما جاء في قوله: «...أما علمت أن الراحمين يرحمهم الله تعالى الرحمن على مر الدهور والأزمان وقد أنشد بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم: لا يرحم الله من لا يرحم الناس[5]...» [6] .

---

(1)نفس المرجع السابق،ص 4 .

(2)أحمد ساسي البوني ، الإعانة ببعض مسائل الحضانة،ص 5 .

(3)نفس المرجع السابق،ص 4 .

(4)نفس المرجع السابق، ص (4-5) .

(5)الحديث أخرجه أبو داود في سننه عن عبد الله بن عمر، [كتاب الأدب / باب في الرحمة]، أبو داود، السنن، مراجعة و ضبط محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، (306/2).

(6)أحمد ساسي البوني، الإعانة ببعض مسائل الحضانة، ص 5 .

المطلب الرابع: رأيه في مسألة حضانة الجدة

لقدأورد رحمه الله رأيه في المسألة في جواب مطول نأخذ مقاطع منه في قوله:

«...ونص الجواب بتوفيق الكريم الوهاب بعد حمد الرب الرحيم و الصلاة و السلام على النبي الكريم و على آله و صحبه ذوي المجد العميم، حيث ثبت ما ألفيت في السؤال وواقد الواقع ذلك المنوال فليس للجدة المذكورة في حضانة ولد ابنتها مقال، بل هي منها ساقطة و إن كانت بذلك ساخطة و ذلك لخوف الهلاك على الصبي المذكور، إن فارق أباه البار المشكور لقولكم لا يقدر على مفارقته ساعة من ليل أو نهار فسبحان الواحد القهار، فأبوه أولى به منها حينئذ عقلا و نقلا و ليس للجدة فيه حق أصلا، وان كان المشهور أن الحضانة حق لها، فقد عارضه وجود المانع عند متأمل النصوص الحايم حولها.... و الحاصل أن الأب في القضية المذكورة أولى بحضانة ولده من جدته المذكورة ارتكابا لأخف الضررين و الله تعالى أعلم.»[1]

(1)أحمد ساسي البوني، الإعانة ببعض مسائل الحضانة،ص (2-6) .

الخاتمة:

يعتبر هذا الموضوع من أهم المواضيع التي تسلط الضوء على التراث العربي الإسلامي في منطقة المغرب العربي، كما أنه يبرز بوضوح مكانة الجزائر في المنطقة من الناحية الفكرية و الثقافية، ولعل كتاب "الإعانة ببعض مسائل الحضانة" يعد من أهم مؤلفات الإمام أحمد بن محمد ساسي التميمي البوني في مجال فقه النوازل، حيث أورد رحمه الله رأيه في مسألة حضانة الجدة من خلال النازلة المعروضة عليه، ويمكن أن أجمل النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث في النقاط التالية :

1- ثروة التراث العربي الإسلامي في جميع العلوم بصفة عامة و العلوم الشرعية بصفة خاصة والتي لا تزال مخطوطة تحتاج إلى إخراجها إلى النور بالدراسة و التحقيق.

2 - كان لأعلام الجزائر الإسهام الواضح في مجال الفقه، لاسيما الفتاوى والنوازل والفقه التطبيقي حيث تعتبر مؤلفاتهم المرجع الأساسي للعلماء و الطلبة و الباحثين منذ أن ألفت إلى وقتنا الحاضر، وهذا ما نجده في كتاب "الإعانة ببعض مسائل الحضانة" لأحمد بن محمد ساسي التميمي البوني .

3- تعتبر مسألة الحضانة من أهم المسائل المطروحة في ذلك العصر، حيث أجاب الإمام أحمد البوني رحمه الله عن سؤال عرض عليه حول حضانة الجدة، فأبدى رأيه بعد بيان آراء العلماء في المسألة و مناقشتها.

4 - إثراء هذا المخطوط للمذهب المالكي بالآراء و النقولات التي وردت فيه لهذا العالم الجليل مما يساهم في تطوير المذهب في منطقة المغرب العربي .

5- تعتبر منطقة المغرب العربي من أهم المناطق التي أسهمت بشكل واضح في الحضارة العربية الإسلامية خلال قرون من الناحية الفكرية و الثقافية، وذلك من خلال مؤلفات أعلامها و رجالها.

ملحق: صور من مخطوط "الإعانة ببعض مسائل الحضانة"

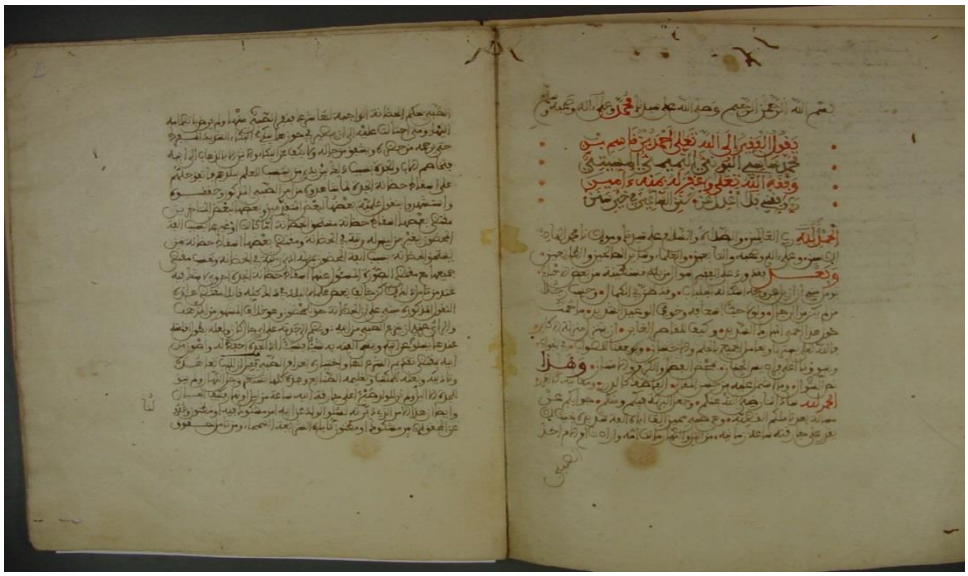

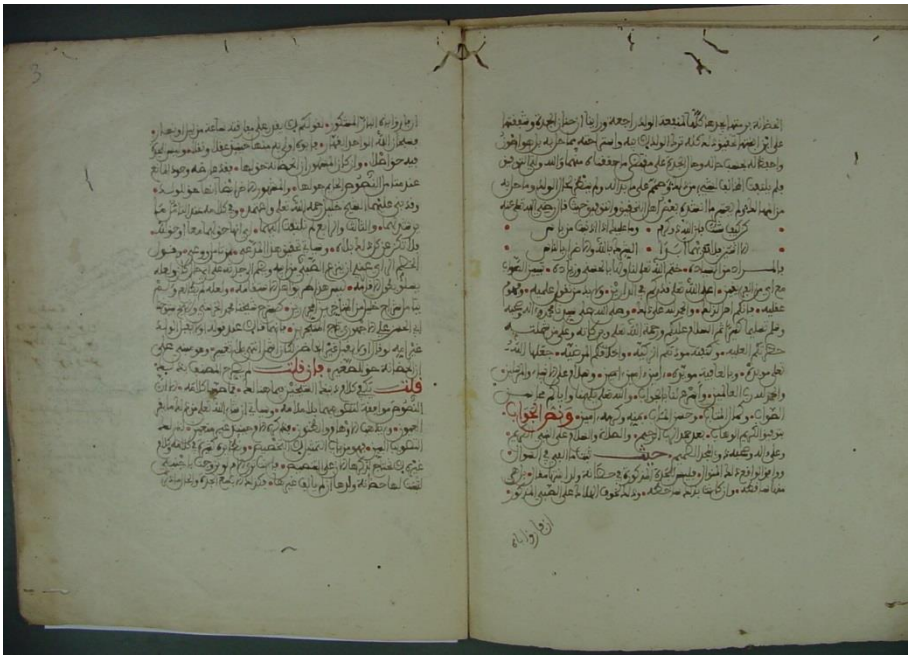

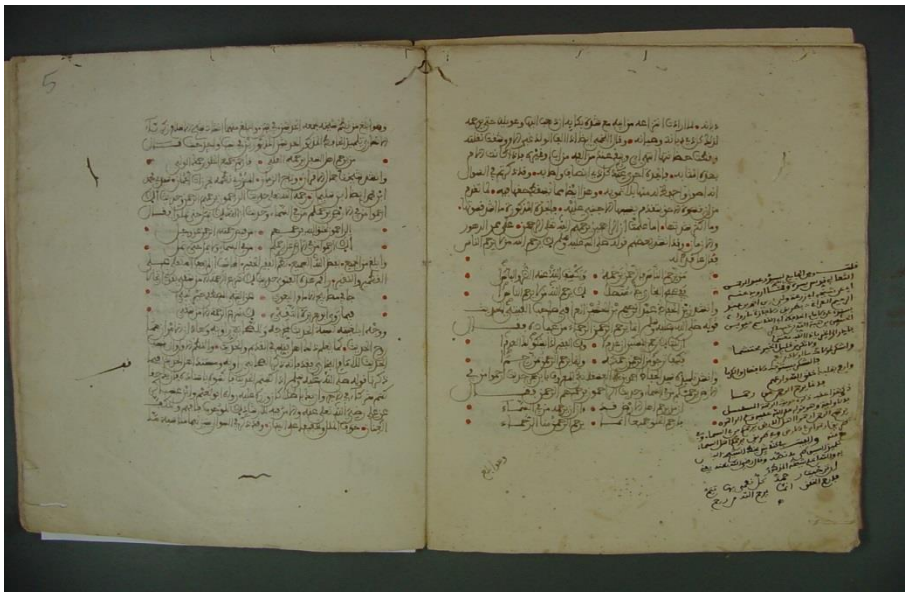

قائمة المصادر والمراجع

1.أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، ابن الأحمر، تحقيق الدكتور الداية محمد رضوان، ط1،1396هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت .

2.الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الزركلي خير الدين، دار العلم للملايين، بيروت .

3.الإعانة ببعض مسائل الحضانة، البوني أحمد ساسي، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم 2160 .

4.تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الميلي مبارك بن محمد، تقديم و تصحيح الميلي محمد، 2004 م،مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر.

5.تاريخ المغرب والأندلس، الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، مكتبة نهضة المشرق جامعة القاهرة ،القاهرة.

6. تعريف الخلف برجال السلف، الحفناوي محمد، ط2، 1985م، مؤسسة الرسالة، سوريا .

7 . السنن،أبو داود، مراجعة و ضبط عبد الحميد محي الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

8. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،مخلوف محمد، 1349هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

9. فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم و الحديث، بشير ضيف، ط1، 2002م، الجزائر.

10.كتاب الوفيات، ابن الخطيب أحمد بن الحسن بن علي، الشهير بابن قنفذ القسنطيني،،تحقيق نويهض عادل، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت.

11.معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين، عادل نويهض،ط1981،1م،المكتبة التجارية، بيروت.

12.معجم مشاهير المغاربة، أبو عمران الشيخ وسعيدوني ناصر الدين،1995م،المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر.

13.المقدمة، ابن خلدون، ط7، 1989 م، دار القلم، بيروت.

14.نيل الابتهاج بتطريز الديباج، التنبكتي أحمد بن أحمد بن عمر بابا، مطبوع بهامش الديباج لابن فرحون، دار الكتب العلمية، بيروت .

15.وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،ابن خلكان أبو العباس، تحقيق عباس إحسان،دار الكتب العلمية، بيروت.